تحديات الهوية الوطنية بين التواصل الثقافي الغربي وأيديولوجية نهاية التاريخ.

أ. وفـــــــاء لعربـــــــط
أ.إيمـــــــان قمـــــــاص
جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة

ملخص:

تعتبر الهوية الوطنية والتواصل الثقافي، من أهم المفاهيم والقضايا إثارة للجدل والاهتمام من قبل النخب الفكرية على اختلاف أيديولوجياتها، وعليهيحاول هذا المقالوالذي يحمل عنوان **تحديات الهوية الوطنية بين التواصل الثقافي الغربي وأيديولوجية نهاية التاريخ**. الإجابة على التساؤلات التالية: ما هي أهم التحديات التي تواجه الحفاظ على الهوية الوطنية؟ وهل للتواصل الثقافي الغربي دور سلبي أو إيجابي؟ وماهي الخطورة التي قد تشكلها إيديولوجية نهاية التاريخ على الهويات الوطنية؟

هذه التساؤلات وأخرى دفعتنا لإجراء دراسة ميدانية باستخدام المنهج الكيفي، وذلك من خلال القيام بمجموعة من المقابلات مع عينة مكونة من دكاترة من جامعات جزائرية مختلفة،نستقي من خلالها آراءهم حول الهوية العربية والتواصل الثقافي وإيديولوجية نهاية التاريخ كفكر يعززالعولمة ويلغي الخصوصية الهوياتية للشعوب.

الكلمـــات المفتاحيـة: التواصل الثقافي، الهوية الوطنيـة، إيديولوجية نهـاية التـاريخ.

Résumé:

L'identité nationale et de continuité culturelle, l'un des concepts et questions controversées et l'intérêt des élites intellectuelles de la diversité de leurs idéologies, et il s'efforce de cette intervention, qui est intitulée Défis de l'identité nationale de communication culturelle occidentale idéologiques la fin de l'histoire. La réponse aux questions suivantes : quels sont les principaux défis pour préserver l'identité nationale ? Est-communication culturelle occidentale du rôle négatif ou positif? Quelle est la gravité idéologique et la fin de l'histoire des identités nationales ?

Ces questions et d'autres nous ont amenés à réaliser une étude sur le terrain au moyen d'une approche qualitative, grâce à une série d'entretiens avec un échantillon desdocteursd'universités algériennes qui différentes, tirer de leurs vues sur l'identité arabe et de continuité culturelle et idéologique à la fin de l'histoire comme pensée renforce la mondialisation annule la confidentialité del'identité des peuples.

Mots clés: communication culturelle, l'identité nationale, idéologique et la fin de l'histoire.

أولا–الإطـــــارالنظـــــــري

1- الإشكاليـــــــة

يعتبر التواصل الثقافي وتأثيراته على الهوية الوطنية أحد الموضوعات الهامة التي بدأ الباحثون منذ منتصف القرن الماضي الاهتمام بها نظرا لحداثة المفهوم نسبيا، وكذا التأثيرات العميقة التي تتركها هذه الظاهرة بمختلف تجلياتها على الهوية، وهو ماجعل مجموعة من المجتمعات في مختلف أرجاء العالم تتجاوب مع التواصل الثقافي بطرق مختلفة، حيث رأى فيها البعض عاملا سلبيا ومؤثرا على الهوية عن طريق تذويب الملامح الثقافية و الدينية لهذه المجتمعات وقولبتها وفق نظام غربي محض.بينمارأىالبعضالآخرأنهاعاملمساهمافيالتقدموالتطوربعيداعنالتقاليدالبالية والعادات التي لا معنى من بقائها في الوقت الراهن، الذي يتسم بتحديات جسيمة تشمل جميع مناحي الحياة الاقتصادية منها و السياسية، التقنية والمعلوماتية، وتتعدى هذه الأخيرة في حد ذاتها سابقاتها، لما يطبع هذا العصر الذي يقوده أباطرة المعلومات من محاولات لتغيير المعالم الثقافية والفكرية المميزة للمجتمعات الإنسانية.

ومن المسلم به أن التواصل الثقافي بين المجتمعات قناة إنسانية عريقة،واتخذت العلاقة بين الثقافات أشكالا متنوعة لإثراء بعضها البعض،ومقاومة عوامل الفناء وكسب طاقة التغيير،وتعزيز المكانة الأدبية ...الخ لكن في ظل تحولات المجتمع الدولي بسبب وتيرة التغيير المذهلة في العقود الأخيرة،وما حققه الغرب من امتياز حضاري وتقني وعلمي وسياسي وعسكري،انبثقت مفاهيم على مستويات شتى،خاصة مفهوم العولمة الذي طغى على الساحتين الإعلامية والفكرية وأفرز إشكاليات عديدة،إذ بوسائلها و آلياتها طرحت نفسها باعتبارها بديلا للتنوع الثقافي واكتساح الهوية الوطنية للشعوب.

وبالتالي فالتواصل الثقافي موضوع حساس وخطير، كونه يعني إشاعة قيم، مبادئ ومعايير ثقافة واحدة واحلالها محل الثقافات الأخرى، مما يعني تلاشي القيم والثقافات القومية للبلاد الأكثر تقدما محلها وخاصة أمريكا التي تسعى وبكل الوسائل إلى العمل على نشر نموذجها في العالم مستعملة في ذلك شتى الوسائل ولعل المجيء بمقولات ونظريات تدعم ذلك أحد أبرز وأخطر الوسائل، وهذا على غرار مقولة التاريخ التي اعتبرها الكثير من المفكرين والباحثين أنها فكرة تهدف إلى إنكار الاختلاف بجعل النموذج الأمريكي هو أخر حلقة في التاريخ، الأمر الذي قد ينعكس سلبا على الهويات الوطنية.

وعليهتسعى الدراسة الراهنة المعنونة بـ**تحديات الهوية الوطنية بين التواصل الثقافي الغربي وأيديولوجية نهاية التاريخ**، الإجابة على التساؤلات التالية: ما هي أهم التحديات التي تواجه الحفاظ على الهوية الوطنية؟ وهل

للتواصل الثقافي الغربي دور سلبي أو إيجابي؟ وماهي الخطورة التي قد تشكلها إيديولوجية نهاية التاريخ على الهويات الوطنية؟

2-أهميـــة البحـث

إن المواضيع المتعلقة بالهوية هي ذات أهمية كبيرة لأنها تتناول مقومات الدول ومظاهر اختلافها وتميزها عن الأخرين ، كما أنها تطرح إشكاليات متشابكة وقضايا معقدة تتعلق بطرق الحفاظ عليها في ظل عالم بات يطلق عليه" **قرية صغيرة** "بفعل التقدم التكنولوجي الكبير وتتحكم فيه دول كبرى منتجة من أجل السيطرة على الدول المستهلكة ،ولهذا فإن أهمية هذه المداخلة تكمن في الموضوع المتناول والذي يتعلق بمجموعة من المتغيرات ذات الاهمية والتأثير في الهوية الوطنية بداية بالبعد المادي المتمثل في التواصل الثقافي والبعد النظري القائم على مقولة أو إيديولوجية نهاية التاريخ.

3-أهـداف البحـث

- التعرف على التحديات التي تواجه الحفاظ على الهوية الوطنية.
- التعرف على طبيعة تأثيرالتواصل الثقافي الغربي، هل هو سلبي أو إيجابي.
- استكشاف مدى الخطورة التي قد تشكلها إيديولوجية نهاية التاريخ على الهويات الوطنية.

4-تحديدالمفـاهيـــــم

4-1-الهويـــة:(Identity – Identitas-Identité)

يرى الكثيرون أن الكتابات العربية والأجنبية تزخر بالعديد من البحوث والدراسات التي تناولت موضوع الهوية، وبالرغم من ذلك هناك صعوبة في إيجاد تعريف واحد ومحدد لها، وهذا راجع لتعدد المدارس الفكرية التي تناولت الموضوع، إضافة إلى سعته وشموليته، حيث تشارك في تكوينه متغيرات متعددة، وخاصة المتغيرات المجتمعية التي تطرأ وتؤثر في الفكر، فالهوية مفهوم له دلالته اللغوية واستخداماته الفلسفية والاجتماعية والنفسية والثقافية[1].

و" الهوية" لغة مشتقة من الضمير "هو" الذي يتحول إلى اسم. ومعناه أن يكون الشخص هو" هو." أيضا هو أسم إشارة يحيل إلى الآخر، وليس إلى الأنا. وبالتالي تمنع كل أنانية وخصوصية لأن الهوية تثبت الآخر قبل أن

[1] علي حمدان، إشكالية الهوية والانتماء، المركز العربي الأسترالي،أستراليا، ط1،2005، ص33.

تثبت الأنا. لا يشتق لفظ "الهوية" من ضمير المتكلم المفرد "الأنا" إلا بمعنى الأنانية في مقابل الغير. أما لفظ "الإنية" فمشتق من "إن" حرف توكيد ونصب. ومعناه أن يتأكد وجود الشيء وماهيته من خلال التعريف.[2]

يماثل لفظ "الهوية" لفظ "الماهية" عند الفلاسفة أي جوهر الشيء وحقيقته. الهوية تماثل بين الأنا والهو في حين أن الماهية تماثل بين الشيء ونفسه. وهو أيضًا لفظ مشتق من أداة الاستفهام "ما"، وضمير الغائب المؤنث "هي". يستعمل في التعريف في حين أن لفظ "الهوية" يُستعمل في الوجود. أما لفظ "جوهر" فهو صورة فنية من المعادن الثمينة ويعني اللب والحقيقة أغلى ما في الشيء. وتعرف الهوية اصطلاحا بأنها ((مجموع الخصائص الملازمة لشعب ما، والتي ينفرد بها وحده (عنصر المطابقة)، وبها يختلف ويتميز عن كل الشعوب الأخرى (عنصر الاختلاف))[3].

ويعرفها **مالك بن نبي**: بأنها الأرضية المشتركة لنتاج الولاء المطلق للدولة أي اعتبار أن الانتماء هو مشترك لمجموعة من الرموز المشتركة قد تكون ناتجة عن تجانس داخل المجتمع أو عن خلق رموز مشتركة لبقاء الدولة في ضل عدم تجانس المجتمع.

***مظـاهـــــــر الهـويـــــــة**

أ–اللغة:تعد المكون الأول والرئيسيللهوية، فهي حياة الأمة وهي بدايتها ونهايتها، لأن اللغة في أي مجتمع ليست مجرد كلمات وألفاظ للتفاهم بين أفراد المجتمع، ولكنها وعاء يحوي مكونات عقلية ووجدانية ومعتقدات وخصوصياته، وبالتالي فالحفاظ على اللغة يعني ضمان بقاء واستمرارية أي مجتمع.

فاللغة جزء لا يتجزأ من ماهية الفرد وهويته، كما أنها تتغلغل في الكيان الاجتماعي والحضاري لأي مجتمع بشري، وتنفذ إلى جميع نواحي الحياة فيه؛ لأنها من أهم مقومات وحدة الشعوب، وقد أشارت منظمة اليونسكو على لسان مديرها إلى أهمية الحفاظ على اللغات الخاصة بالمجتمعات حيث قال:إن «اللغات هي من المقومات الجوهرية لهوية الأفراد والجماعات، وعنصر أساسي في تعايشهم السلمي، كما أنها عامل استراتيجي للتقدم نحو التنمية المستدامة، وللربط السلس بين القضايا العالمية والقضايا المحلية...[4].

---

[2] **على بن محمد الجرماني، التعريفات، باب الهاء، مكتبة لبنان،**1985،ص277.

[3] **هاني محمد يونس موسى، دور التربية في الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع العربي، كليةالتربية،** جامعة بنها،مصر، ص**11.**

[4] **كلمة السيد"كويشيرو ماتسورا" رسالة المدير العام لليونسكو بمناسبة الاحتفال باللسنة الدولية للغات** 2008 على موقع **اليونسكو** www.un.org/arabic/events/iy

ب–الدين: تستمد الهوية مقوماتها من الدين،فالدين هو المكون الأول للهوية الثقافية، لأنه هو الذي يحدد للأمة فلسفتها الأساسية عن سر الحياة وغاية الوجود، كما يجيب عن الأسئلة الخالدة التي فرضت نفسها على الإنسان في كل زمان ومكان.

إذن لا يمكن تصور وجود للهوية إلا بوجود الدين باعتباره سمة مميزة للمجتمعات.

جـ–**التاريخ**:لا يمكن لأية أمة أن تشعر بوجودها بين الأمم إلا عن طريق تاريخها؛ الذي يمثل أحد قسمات هويتها، فالتاريخ هو السجل الثابت لماضي الأمة وديوان مفاخرها وذكرياتها، وهو آمالها وأمانيها، بل هو الذي يميز الجماعات البشرية بعضها عن بعض، فكل الذين يشتركون في ماض واحد يعتزون ويفخرون بمآثره يكونون أبناء أمة واحدة، فالتاريخ المشترك عنصر مهم من عناصر المحافظة على الهوية وعلى ذلك يكون طمس تاريخ الأمة أو تشويهه أو الالتفاف عليه هو أحد الوسائل الناجحة لإخفاء هويتها أو تهميشها[5].

4–2–التواصل الثقافـــي

لا نعنيبالتواصل الثقافي معنى الاستمرار والامتداد في عملية قوامها انتقال السمات الثقافية من جيل إلى آخر وفق سلسلة ما كما تقرر نظرية التطور، وإنما التواصل الذي نعنيه هو عملية شاملة قوامها تماسك المجتمع. والتئام أجزائه، ووحدة أهدافه وتشابه عناصره الثقافية، واتصال أنماطه الاجتماعية، وهذه العملية يجري الكثير منها وفق ما هو كائن متحقق في المجتمع من مظاهر التماسك، وعوامل الوحدة والانسجام.

ولا نعني بـ(الثقافي) غير المعنى الشامل للثقافة[6]، المعنى المفتوح الذي يستوعب مجموعة الأفكار والقيم والمعايير والأشكال، التي قد تنعكس في قصة، كتاب أو عنصر من عناصر التراث.

فالتواصل الثقافي عملية حضارية متكاملة، تفتح العقول والنفوس على آفاق جديدة وإمكانات حديثة، وتشترك قوى صاعدة ومتميزة في مسار البناء والتنمية.

لذلك فهي –عملية التواصل الثقافي –ضرورة إنسانية وحضارية... إنسانية لكونها هي الطريق الفعال لتحقيق إنسانية الإنسان، وإبراز قوى الخير في نفسه، وهي الصيغة المثلى للتعاطي مع المختلفين على المستويين المعرفي

[5] **السيد عبد العزيز البهواشي**: دور التربية الإسلامية في تنمية الشخصية القومية المصرية لمواجهة مخاطر اللانظام العالمي الجديد، ص ص440-441.

[6] **محمد محفوظ**،في معنى التواصل الثقافي، مرجع سابق، 2015/12/29، 13:36.

والثقافي.وحضارية لكونها وسيلة استيعاب منجزات الآخرين، والتعرف على ثرواتهم المعرفية وإمكاناتهم الثقافية، وبدونها تتحول الاختلافات الثقافية إلى بؤر للتوتر والصراع المدمر والمميت.

ولا بد أن ندرك في هذا الصدد، أن التواصل الثقافي لا يستهدف الوصول إلى حالة من المطابقة بين الثقافات، وإنما يستهدف بالدرجة الأولى الحوار والاستيعاب وإبراز المضامين الإنسانية والحضارية للثقافات. لذلك كله ينبغي أن يهتم القائمون على شؤون الثقافتين العربية والإسلامية بمسائل وقضايا التواصل والتفاعل مع الثقافات الإنسانية.لأن في هذا التواصل والتفاعل حيوية ثقافية، تقاوم ركام الجمود واليباس، وتبدد عناصر التخلف الثاوية في أحشائها.

كما أن في هذا التواصل إضافة نوعية، واشتغال مستديم على القضايا ذات الأولوية والأهمية. ونرتكب خطيئة كبرى، حينما نعتقد أن بإمكان الثقافة –أية ثقافة –أن تعيش بلا تواصل وتفاعل، لأن غياب التواصل الثقافي، يعني انحدار الثقافة وبؤسها وعدم حيويتها وعدم قدرتها على مواءمة الجديد ومواكبة التطور.

والتواصل الثقافي الذي يتطلع إلى الأبعاد والمضامين الإنسانية والتنموية في الثقافات الإنسانية، هو الذي يغرس الحيوية والفعالية والاشتغال المعرفي النوعي في مجالات الثقافة المختلفة[7].

5–رهـانات وتحديـات للتـواصل الثقــافـي

5–1– الرهــاناتالهوياتــي(enjeu identitaire)

إن الهوية في هذا المضمار تعتبر هي الشرط، وأن الرهان هو النتيجة التي نصل إليها عبر توظيف سيرورة من التفاعلات مع أفراد الجماعة الاجتماعية. ويعتبرها الباحث شرطا لأن كل كلام يرسل في مكان معين (مرتبط بالمكانات، الأدوار، الانتماءات)، وهذا المكان هو الذي يحدد الهوية المكانية (**identitésituationnelle**) للمحاور الذي يقوم بتعيين العلاقات، وفي نفس الوقت تعيين له مكانة ارتباطية. إن الهوية " المكانية " للمحاور تعالج ضمن عملية الإلقاء والملتقى بواسطة مجموعة من المؤشرات الهوياتية الشخصية والاجتماعية للمحاور. ويستدرك الباحث أن الهوية تعتبر رهانا أيضا، لأن جزء مهما من التواصلات البين –شخصية تنشط بواسطة رغبة في إنتاج صورة للذات وجعلها تتأكد بواسطة الآخرين، ويحيل الباحث هنا على مفهوم" الواجهة" (**la face**) الذي طوره كوفمان (**Goffman**) واعتبره قيمة اجتماعيةإيجابية يطالب

[7] **محمد محفوظ،في معنى التواصل الثقافي، مرجع سابق،** 2015/12/29، 13:36.

بها الفرد في تفاعل خاص، وأن هذهالواجهة تهدف إلى" التحقيق/ الإخراج " (**lamise ensène**)[8]الذي يهدف إلى بناء نوع من صورة الذات من أجل الآخر.

إن الصورة التي نريد أن نقدم، تتطلب إثباتا من طرف الآخرين، لأنه إذا لم يستطع المحاور أن يثبتها سيحس بنوع من القلق والاضطراب في هويته. لأن البحث عن الاعتراف المتضمن في التواصلات يخضع لدافعية أساسية مرتبطة بالبحث عن التقدير (التواجد في أعين الآخرين، أن يكون محبوبا، مقبولا كمحاور مناسب، أن يكون معترفا به في فردانيته ...). إن هذه الرهانات تؤدي، كما يقول الباحث، إلى مجازفة "فقدان الواجهة " أو " ألا يكون في المستوى"، بمعنى أن يكون الفرد غير ذي قيمة اجتماعية.

ويضيف (لبيانسكي) أن هناك دافعية أساسية أخرى في البحث عن الهوية، وهي المحافظة على الإحساس بالاندماج، وعلى وحدة الذات واستمرارها عبر الزمن. ويستدرك أخيرا أنه إذا كانت الهوية رهان للتواصل، فهي تعتبر كذلك نتاج له، لأنه بواسطة التفاعلات اليومية والصورة التي تعكس لنا ستتأسس شيئا فشيئا الصورة التي نكون عن أنفسنا،ويقول إن التمثل وتقدير الذات يستقى في جزء كبير من " مرآة الآخرين "، ومن ارتجاع الرسائل التي تبعث.

5-2-الرهـــانالموطنـــي :(**enjeu territorial**)

إن التواصل مع الآخرين شيء نرغبه ونخشاه في آن واحد، لأن الخوف هنا مرتبط بإمكانية إقحام الآخر للموطن الشخصي وانتهاك حرمته (الفضاء الشخصي) ، لأننا نسجل العلاقات بين الفضاء والتواصل ضمن " المسافة البين – شخصية " بين الفاعلين، بواسطة الإمكانات المتاحة لهم داخل المجال المكاني والمجال السيكولوجي (الأنا الحميمي) ،وهذا ما يسميه **كوفمان**(Goffman)[9] بـ " محتشم الأنا " (**reserve du moi**)، وهو يمثل الحياة الخاصة والمواضيع الحميمية والأسرار،وكل القضايا الشخصية ... إن الحاجز الذي يفصل الذات عن الآخر يضل حاضرا في التواصل، ولا يمكن أن نتجاوزه إلا بتوفر بعض الشروط الطقوسية (معرفة، بينية، درجة من الحميمية،الدافعية ...) .

5-3-الرهـــانالعلائقـــي: (**enjeu relationnel**)

[8]**GOFFMAN, E '' La mise en scène de la vie quotidienne '' éd. Minuit, 1973.**
[9]GOFFMAN,E , in LIPIANSKY idem.

إن التواصل هو الممر الضروري للدخول في علاقة مع الآخرين، كيف ما كانت دوافع ذلك الدخول (اجتماعية، مهنية، عاطفية، منفعية ...)،لأنه يمثل الحاجة إلى الإحساس بالارتباط والاندماج، الحاجة إلى السند، إلى التفهم، إلى التشجيع (الحاجةإلى "اللمسات " كما يضيف بيرن (**Berne, E**)[10] الحاجة إلى الاعتراف، الحاجة إلى الحب

5-4-رهــان البحث عن التأثيــر:(enjeu conatif)

هناك مجموعة من التواصلات تهدف إلى التأثيرعلى الآخرين، وإقناعهم، وإلى الدفع بهم إلى الفعل في هذا الاتجاه أو ذلك، أو إلى أمرهم، أو إغرائهم وتهديدهم، وينتظم البحث عن التأثير في استراتيجيتين كبيرتين:

- استراتيجية السلطة التي تتأسس عن علاقة القوة بين المتحاورين،وتظهر في التضاد والضغط والمواجهة والتهديد، ومجهود الإقناع ...
- استراتيجية الإغراء التي تبحث عن علاقة الاشتراك في الانجذابوالود والتيقن وتكييف سلوك التقارب بين المتحاورين.

6-الآثار السلبيـة للتواصــل الثقافــي الغربــي

يمكن القول بأن الآثار السلبية للتواصل الثقافي الغربي على الأمة الإسلامية تفوق من حيث العدد والخطورة الآثار الإيجابية لها، وبشيء من التلخيص المركز يمكن الوقوف عند الآثار السلبية التالية:

- **ادعاء أفضلية الثقافة الغربية على الثقافة الإسلاميّة**، وهذا الادعاء يحمل انتقاصًا مباشرًا للمعتقد والدين الذي تمثله هذه الثقافة الإسلاميّة ذات المصدر الرباني الذي كفل لها العصمة من التناقض (**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا**)[11] والبراءة من التحيز (**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**)[12] والتحرر من عبودية البشر وأفكارهم، والاحترام وسهولة التطبيق لمبادئ تلك الثقافة.

والسماح لهذا الادعاء بالانتشار له تأثير سلبي مباشر على المنتسبين للدين الإسلامي وعلى بقية المجتمعات التي تبحث عن الثقافة الأصلح فتجد التشويه المتعمد للثقافة الإسلامية وفي المقابل الادعاء المستمر بأفضلية النظام الأمريكي الثقافي والسياسي والاقتصادي وهو جوهر نظر: فوكو ياما المتعلقة بنهاية التاريخ؛ لأن نهاية عصرالأيديولوجيات عنده إنما يعني حلول الأيدلوجية الأمريكية محل الأيديولوجيات الأخرى. أما الوسيلة الموصلة

[10]BERNE .N in LIPIANSKY idem, p59

[11] سورة النساء: 82.

[12] سورة الحجرات: 13.

إلى هذا الهدف فقد عبر عنها: صموئيل **هنتنجتون** من خلال نظرية: صراح الحضارات.

إهمال الأساسيات الدينية ولا سيما في مجال العقائد تحت وطأة النمط الثقافي الغربي الذي لا يقيم وزنًا لهذه القضايا:إن من أهم الأسس التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية الإيمان بالغيب الذي يرد الخبر به عن الله تعالى، وبدون ذلك لا يصح وصف الإنسان بالإيمان، والغيب يشمل الوحي باعتباره مصدر المعرفة الصحيحة وأمور الآخرة من بعث وحشر وجنة ونار، والإيمان بالقضاء والقدر، ومفهوم التوكل على الله، وكل هذه القضايا لا مكان لها في عالم العولمة الثقافية وهو مصدر اختلاف كبير بين الثقافتين الإسلامية والغربية، وقد أشار لهذا الدكتور مُحَمَّد الجليند بقوله:"إن الموقف المعرفي كله تختلف فلسفته في الحضارة الإسلاميّة عنها في الحضارة الغربية من ناحية الأهداف والمقاصد، وكذلك من ناحية الوسائل والمناهج"[13]

تذويب الانتماء إلى الدين والمعتقد وإضعاف علاقة الفرد بأمته ومسخ شخصيته المستقلة؛ ليذوب في منظومة العولمة الثقافية: يعيش المسلمون اليوم في أكثر من 120 مجتمعًا بشريًّا وعدد الدول الإسلامية يبلغ54دولة وعددهم يزيد عن1300مليون أي ما يقارب23%من عدد سكان العالم[14].

ولا شيء أخطر على الثقافة الغربية اليوم من شعور هؤلاء جميعًا بالانتماء الحقيقي إلى دينهم ومعتقدهم وثقافتهم.ولهذا فقد عد **هنتنجتون** اقتناع أصحاب الثقافة الإسلامية بتفوق ثقافتهم مشكلة الغرب الخطيرة وبالتالي فمعالجة هذه المشكلة يقتضي تذويب هذا الانتماء ومسخ الشخصية المستقلة التي تميز المسلم عن غيره وهذا ما يفسِّر الحملة الشرسة المركزة على مفهوم الولاء والبراء في الإسلام باعتباره الأساس في إحساس الفرد بهويته الثقافية المستقلة.

الإكراه الثقافي والإرهاب الفكري الواقع على شعوب العالم:بحيث لا يترك لها حرية الاختيار بين الدخول في العولمة الثقافية وبين التمسك بثقافتها الخاصة، وقد عبر توماس فريدمان عن ذلك بقوله: "العولمة أمر واقع وعلى اللاعبين العالميين إما الانسجام معه واستيعابه أو الإصرار على العيش في الماضي وبالتالي خسارة كل شيء ولا بد من قبول الأمر الواقع"، ويقول وزير المالية الأمريكي الأسبق روبرت روين في رد ساخر على مهاتير مُحَمَّد رئيس وزراء ماليزيا السابق حينما انتقد شرور العولمة: "اعذرني مُحَمَّد ولكن على أي كوكب أنت تعيش إنك تتكلم عن المشاركة في العولمة كأن ذلك يتضمن خيارًا متاحًا لك، العولمة ليست خيارًا وإنما حقيقة واقعة"[15]، وهذا الإكراه ظلم صارخ

---

[3] **محمد السيد الجليند**:الوحي والإنسان قراءة معرفية، دار قباء للطباعة والنشر القاهرة ط1, 2002م سلسلة تصحيح المفاهيم 6، ص45.

[14] **عبد سعيد عبد إسماعيل**:العولمة أرقام وحقائق ص 34 وانظر: **the American Heritage Dictionary** p 562 .

محمد الأطرش، العرب والعولمة، مقال منشور بمجلة المستقبل العربي، العدد 229، ص101.[15]

ينتهك حقوق المجتمعات في المحافظة على الثقافة المحلية وينذر بردات فعل غير محسوبة قد تفوق كل توقع، وما صيحات مناهضي العولمة واحتجاجاتهم المستمرة والمواجهات الدموية مع كبار مسيري العولمة إلا إرهاصات أولية لما يحتمل حدوثه في المستقبل إذا استمر هذا الإكراه الثقافي على الضعفاء الذين يجري تخويفهم وإرهابهم على الصعيد الإعلامي والسياسي والاقتصادي وحتى العسكري في كثير من الأحيان.

إفساد الأنماط السلوكية السائدة لدى الشعوب:ولا سيما الشعوب المسلمة في اللباس والأزياء الخاصة بالرجال أو النساء والتقليعات الغربية الخاصة بطريقة قص الشعر وتغيير الخلقة وأنواع المأكولات الغربية وطريقةتناولها بحيث يصعب اليوم تمييز الهوية الوطنية الخاصة بكل شعب في ظل هذه العولمة في ثقافة اللباس على النمط الغربي حتى لو كان المرء يسير في شوارع بومباي، أو بيونس آيرس، أو بيروت، أو نيويورك.

سيادة لغة العولمة الثقافية وهي اللغة الإنجليزية على جميع اللغات ومنها اللغة العربية:اللغة ليست مجرد ألفاظ جامدة لكنها مظهر ثقافي لا ينكر، وتأثر اللغة العربية لغة القرآن الكريم ظاهر بانتشار اللغة الإنجليزية ومصطلحاتها بين أبناء العرب المسلمين فضلاً عن غيرهم، ومع أن تعلم اللغة الإنجليزية له فائدة ظاهرة للشباب المسلم اليوم إلا أن التأثر بثقافة أهل هذه اللغة هو الأثر السلبي الذي تشير إليه هذه الفقرة على وجه التحديد، ويذكر عبد الهادي أبو طالب أن 88% من معطيات الإنترنت تُبث باللغة الإنجليزية.

7-الآثـار الإيجابيـة للتواصـل الثقافـي الغربـي

المسلم مأمور بالإنصاف والتجرد وعدم النظر إلى الأمور من زاوية واحدة فقط؛ بل لابد من تقييم الظواهر من جوانبها المختلفة مع مراعاة العدل في ذلك فقد قال الله تعالى:

(ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)[16]. وقال سبحانه: **(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين)**[17].وقال تعالى: **(وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى)**[18].

ومن هنا فإن ظاهرة التواصل الثقافي الغربي لا يخلو من إيجابيات مهمة في مجال نشر العقيدة والعلم الشرعي والدعوة إلى الله تعالى مع ملاحظة أن هذه الإيجابيات قليلة بالنسبة إلى السلبيات وتتعلق بالوسائل المستخدمة بعمليات التواصل الثقافي وبين ما يسمى بالأيدولوجيات التي هي الجانب الثقافي للعولمة، وهي خطرة للغاية كما

[16] المائدة: الآية 2

[17] المائدة: الآية 8

[18] الأنعام: الآية 152

تبيَّن من خلال المبحث السابق؛ لأنها استنساخ فكري وتنميط حضاري تقوم به القوة المسيطرة الغالبة. أما عمليات العولمة فهي من باب الوسائل وتشمل تقنيات المعلومات والاتصال والإعلام، ولقد كان لهذه الوسائل من الإيجابيات على الأمة الإسلامية ما يلي:

إتاحة فرصة كبرى لنشر الثقافة الإسلاميّة:وذلك من خلال زوال كثير من العوائق التي كانت تحول دون نشر العقيدة الإسلامية مع سهولة الاتصال عبر شبكة الإنترنت وسهولة التواصل عبر وسائل الإعلام الفضائية (مرئية ومسموعة) وهو تحد جديد أمام المنتمين للثقافة الإسلامية اليوم وسوف يخسرون خسرانًا بينًا إن هم فرطوا في هذه الوصية السانحة للدعوة إلى الله ونشر الإسلام وقيمه الموافقة للفطرة السليمة للعالمين والرد على الشبهات المثارة حوله دون وصاية رسمية أو أنظمة مقيدة.

سهولة الحصول على المعلومة المفيدة : وهو أمر يسهم في بناء الجانب العلمي والمعرفي في الأمة الإسلامية عن طريق الحصول على الإحصاءات الموثقة والأبحاث العلمية بل وحتى الفتاوى الشرعية التي تسهم مجتمعة في نشر العلم والمعرفة ودعم عناصر العملية التعليمية الخمسة، أو ما يسمى بالميمات الخمس: (معلم، متعلم، منهج، مكان، مجتمع)[19] ومع أن الواقع التعليمي في البلاد الإسلامية مؤسف جدا حيث يبلغ متوسط نسبة الأمية 62%من عدد السكان ، وبينما يبلغ ما تنفقه إسرائيل على البحوث التطبيقية ملياري دولار سنويًّ، فإن الدول العربية مجتمعة لا تنفق على البحوث العلمية أكثر من 100مليون دولار[20]، إلا أن وسائل العولمة الثقافية المعاصرة تتيح للبلاد الإسلامية مجالاً مهما لنشر العلم بتكاليف معقولة مقارنة بمتطلبات نشر العلم في السابق.

الاطلاع على مساوئ الثقافة الغربية والأخطاء الكبرى فيها؛ وهذا الأمر يتم من خلال توسع أصحابها في نشرها ومحاولتهم تسويقها بين الشعوب؛ لكنهم في إطار العولمة لا يستطيعون حجب المساوئ عن أعين الآخرين مما أدى إلى نفور الكثيرين من هذه الثقافة الغربية ولا سيما في نسختها الأمريكية المشوهة لما رأوا فيها من أخطاء من أبرزها: التناقض، والتحيز، والمادية المجردة من الروح والمشاعر، والانفلات الأخلاقي الذي يصل في بعض الأحيان إلى حد البهيمية غير المنضبطة. وهذا الأمر لم يكن ليتم بهذه الصورة لو لم توجد وسائل العولمة الثقافية.

زيادة التواصل بين المسلمين:وذلك باستخدام آليات العولمة الثقافية فأصبح المسلم قادراً على معرفة أحوال إخوانه المسلمين في المجتمعات الأخرى، ومعرفة التحديات التي تواجههم وبالتالي عونهم **وتقوية الارتباط** بهم.

لقد أسهم النقل الفضائي الحي والمباشر لما يتعرض له المسلمون في فلسطين إلى زيادة التلاحم بينهم وبين بقية

[19] **عبد سعيد عبد إسماعيل**:مرجع سابق، ص188.

[20] **المرجع نفسه، ص 219**

المسلمين في سائر أنحاء العالم ولم يعد باستطاعة إسرائيل أن تحجب عن العالم الإسلامي ما تفعله بالفلسطينيين وهذا أدى إلى زيادة تفاعل المسلمين مع إخوانهم واستعدادهم لنصرتهم وعونهم، وأضعف في فرص استفراد الإعلام الغربي بنقل وجهة نظره المنحازة في أغلب الأحيان لهذا الصراع.ولم يتم التعاطف مع قضية المسلمين في البوسنة والهرسك وكوسوفا إلا من خلالوعبر وسائل الإعلام والاتصال المعاصرة مع أن شعب البوسنة والهرسك تعرض إلى مجازر وحشية إبان الحرب العالمية الثانية إلا أن عدم نقل تلك الأحداث بواسطة أجهزة الأعلام أقام حاجزًا حال دون تواصل بقية المسلمين معهم بالشكل الذي حصل في التسعينات من القرن المنصرم.

8-إيديولوجيـــة نهايـــة التاريـــخ كفكـــر وكواقـــع

تعد مقولة نهاية التاريخ آخر صيحة عالمية استفاق عليها الفكر الإنساني المعاصر. **للمفكر الاستراتيجي الامريكي فرانسيس فوكوياما**وهو شخصية معاصرة تعمل في مركز التخطيط الاستراتيجي في أمريكا المعاصرة التي تتبنى مبدأ (النظام العالمي الجديد) وفي مقولتهنزعة معاصرة في فلسفة التاريخ، يغلب عليهطابع القراءة السياسية البرجماتية (النفعية) التي تؤسس لتحقيق سيادة أمريكا في العالم اليوم سياسيا وثقافيا واقتصاديا، لذا سعت هذه القراءة البرجماتية الى وضع امريكا على عرش التاريخ البشري وإلقاء نظرة على مجمل ما ورد في كتاب نهاية التاريخ وخاتم البشر[21]،يكشف عن مجموعة من الأفكار والتصورات التي صاغها فوكوياما يمكن إبراز خطوطها العريضة الآتية:

يرى المؤلف أن سقوط الاتحاد السوفياتي واكتساح الديموقراطية الليبرالية أرجاء العالم، وانهيار الأنظمة الشمولية، وانتصار فكرة الأسواق الحرة، كل ذلك وصد باب التاريخ وأدى إلى نهايته الأبدية التي لن يبرز في أفقها أي مؤشر جديد.

يرتكز في تحليله للديموقراطية على المرجعية التاريخية فيعود إلى أحداث القرن19م الذي يعتبره قرن الاستقرار والسلام بفضل ما جناه من ثمار الثورة الفرنسية التي ركزت مبادئ الديموقراطية. لكنه ينتقد أحداث القرن العشرين التي أدت في نظره إلى تراجع المبادئ الديموقراطية بسبب الحربين العالميتين وظهور الأنظمة الديكتاتورية واليسارية الشمولية. ثم يعرج على الفترة المعاصرة ليفسر كيفية تحول الدول الديكتاتورية إلى دول ديموقراطية وسقوط الأنظمة الاشتراكية، وتحولها إلى أنظمة تنحو نحو وجهة الاقتصاد الحر بسبب عجزها عن حل مشاكلها الاقتصادية.

[21] **حسين أمين**. نهاية التاريخ وخاتم البشر، الترجمة العربية للكتاب الاصلي The end of history and the last man, New York, Free Press،1992 والرابط **aldiplomacy1@hotmail.com**

في **مواضع أخرى من الكتاب، يضع المؤلف** الأصبع على فكرة التاريخ الكوني، فيستعرض مختلف النظريات التاريخية لفلاسفة التاريخ والآلية التي تحرك التاريخ العالمي، والمتمثلة في نظره في الآلة العسكرية والتكنولوجية وسعي الإنسان المعاصر للسيطرة على الطبيعة، معتبرا أن التاريخ يسير نحو تاريخ عالمي متجانس **بهدف تكوين الدولة** العالمية، مستبعدا أن يكون التاريخ الكوني تاريخا دوريا يقضي على المنجزات الحديثة ليرجع للمرحلة السابقة. **إلا** أن أهم ما يميز فكر فوكوياما في باب التاريخ العالمي يكمن في رؤيته بأن الاتجاه نحو الدولة العالمية المتجانسة يؤدي إلى نشأة مجتمع خال من الطبقات، ويعكس آخر مرحلة مرضية من التاريخ الإنساني، منها سيكون الاتجاه نحو **نهاية التاريخ.**

ولم يفته الإشارة إلى ما ينجم عن التطور التكنولوجي من دمار للبيئة معبرا عن تشاؤمه الشديد في هذا المجال من المجهودات التي تقوم بها الجمعيات ومنظمات من أنصار البيئة. **وحول** الاقتصاد الاشتراكي، أبرز أوجه قصوره، خاصة من ناحية اعتماد الدول الاشتراكية على فكرة الخطط الاقتصادية التي لم تعد ملائمة في نظره للتغيرات الاقتصادية السريعة وتبدل الأسعار، ومن ثم يعتبرها معيقة للتطور التكنولوجي، ويقرن الثورة العلمية بالديموقراطية الليبرالية **الحرة.**

ويطرح في مواضع أخرى وجهات نظر تتعلق بفلسفة التاريخ، خاصة آراء **هيغل كما فسرها كوجيف حول الحرية** والإنسان، معتبرا أن الحرية تظهر عندما يقدر الإنسان على تجاهل وجوده الطبيعي الحيواني وخلق ذات جديدة **لنفسه.** وفي هذا الإطار يخصص فصلا لمعالجة السيادة والعبودية، فيرى أن خدمة العبد لسيده أصبحت تستفيد **من التطور التكنولوجي، مما جعل العبد حرا بفضل تغلبه على صعوبة الخدمات السائدة قبل العصر التكنولوجي، ومطالبا بالمزيد من الحرية والمساواة.**

وفي تحليله للكائن البشري، يرى أن انفعالات الإنسان من خلال رغبته في العرفان **والتمايز والحفاظ على النفس** والكرامة، يؤدي به إلى الدخول في مجتمع مدني حيث الدستور يقر بحقوق كل إنسان، ويقدم شرحا لمفهوم الشهامة اعتمادا على آراء الفلاسفة الأقدمين، منتقدا النظام الشيوعي الذي جعل الجزء الشهواني من النفس ضد **الجزء الحيوي فيها، وذلك بإجبار الناس العاديين على جعل العديد من التافهين أكثر اتفاقا من طبائعهم.**

ويلاحظ أن فكرة الديموقراطية تأخذ حيزا هاما من اهتمامات المؤلف الذي يرى أن غيابها يسفر عن مشاكل لا حصر لها داخل المجتمع، ويمكن أن تلعب دورها إذا وضعت في الحسبان الخصوصيات الثقافية لشعب أو أمة. **ويذهب** إلى أن الديموقراطية تتجه نحو وجهة عالمية تتميز بالتجانس، ليخرج بنتيجة قطعية في نظره، وهي أن التاريخ يقود الإنسان بطريق أو بآخر إلى الديموقراطية الحرة.

ويستند فوكوياما في الدفاع عن أطروحة التوجه الكوني نحو الديموقراطية على الثورة الحالية لتكنولوجية الإعلام، فالانفجار التكنولوجي في المجال الإعلامي الذي نجح في غزو أكثر المناطق انزواء في العالم، سيعطي –في نظره- الأفراد مزيدا من القدرات ويسرع من وتيرة الدمقرطة[22].

9-فكرة نهاية التاريخ ولدت من رحم "النظام العالمي الجديد"

إن التحليل العلمي لأي منتوج ثقافي لا يتم بمعزل عن بنية الواقع الذي أفرزه، ومن هذا المنظور، لم تكن فكرة نهاية التاريخ التي طرحها فوكوياما في سوق الثقافة سوى غطاء فكري يجسد انتصار النظام العالمي الجديد الذي بدت ملامحه تتشكل منذ العقدين الأخيرين، ودخل القاموس السياسي لأول مرة حين استعمله الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الأب في خطاب وجهه إلى الشعب الأمريكي عندما قرر إرسال القوات الأمريكية إلى أرض الجزيرة العربية بالخليج إبان الاجتياح العراقي للكويت.

بيد أن هذا النظام الجديد لم يكن سوى تتويج لمجموعة من التغيرات التي شهدتها خارطة العالم السياسي التي دخلت في إيقاع تطورات سريعة منذ الثمانينات، فمنذ سنة 1985 قدم الرئيس السوفياتي ميخائيل غورباتشوف مشروعه الطموح المعروف بسياسة البروسترويكا، وهو مشروع إصلاحي جاء كرد فعل ضد ما أفرزته سياسة التسلط والبيروقراطية والنظام الشمولي السائد في العهد الشيوعي الذي هيمن ردحا من الزمن في الاتحاد السوفيتي، وما تمخض عن ذلك النظام من مشاكل متفاقمة شملت كل المستويات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

لقد كانت الحركة الغورباتشوفية منعطفا بارزا لم يكشف عن مثالب النظام الشيوعي وأزمة اليسارية الشمولية كما طبقت في الاتحاد السوفياتي فحسب، بل كان أول معول يوظف لهدم ذلك النظام من الداخل، ويسعى لحفر قبر بعض الأنظمة التابعة له في أوروبا الشرقية التي لم تجد حرجا في إعلان تمردها على الأنظمة الكلية، والاندماج في الاقتصاد الحر[23].

والمتتبع للمتغيرات التي شهدها العالم منذ التسعينات، يلاحظ أن الرياح صارت آنذاك تعاكس الفكر الاشتراكي، فإلى جانب انهيار الأنظمة الشيوعية في أوروبا وتفكك الاتحاد السوفيتي، جاء سقوط جدار برلين سنة 1989، وإجبار روسيا –بوضعيتها المترهلة ووزنها الدولي المتآكل- على توقيع العديد من الاتفاقيات مع الولايات المتحدة، قاصمة الظهر لدولة طوت آخر صفحة من صفحات العظمة، فتقلص دورها العالمي، وضعفت قدراتها العسكرية، وتمخض عن ذلك كله نتائج سلبية في تاريخ الأنظمة الشيوعية، نذكر من بينها إعلان حل منظمة الكوميكون

---

[22] **حسين أمين**. نهاية التاريخ وخاتم البشر، المرجع السابق.

[23] **عزت أحمد السيد**، هل بدأ عصر الهيمنة الأمريكية؟، مجلة الوحدة، عدد 8-9 نوفمبر 1992، ص**97**.

التي أعلنت إفلاسها في مشاريعها التجارية، ليتبعها بعد ذلك حل حلف وارسو في براغ بتاريخ فاتح يوليوز 1991، وهو أقوى حلف كانت تتخوف منه الولايات المتحدة في زمن الهيبة الشيوعية.

يضاف إلى جملة الانتكاسات التي عرفها النظام الشيوعي، الهزائم المرة التي لحقته في أفغانستان حيث تم استئصال شأفة الخطر الأحمر بفعل تحالف القوى الإسلامية هناك بدعم أمريكي واضح؛ ناهيك عن تداعي أنظمة أخرى بإفريقيا وآسيا كانت تدور في فلك المارد الأحمر السوفيتي.

لقد عصفت هذه المتغيرات بالاتحاد السوفيتي كقوة عظمى تشارك في الحفاظ على التوازن الدولي، وأدت إلى ضمور نفوذه، مقابل بروز القوة الأمريكية كقطب أوحد، ليتمخض عن ذلك كله ظهور نظام دولي جديد بزعامة الولايات المتحدة. إن هذا الانتصار الأمريكي لم يكن انتصارا زحزح الاتحاد السوفيتي عن مواقعه العسكرية المتفوقة، بقدر ما كان انتصارا إيديولوجيا تحقق بعد جولات طويلة من الصراع بين الرأسمالية والاشتراكية، ورجحانا قويا للفلسفة الليبرالية الديمقراطية على حساب الفكر الشيوعي الاشتراكي الذي عرف أفولا كنتيجة حتمية لانتصار السياسة والاقتصاد الأمريكي[24]، مما أدى إلى أزمته. وفي خضم نشوة الانتصار والتفوق، راح النظام الدولي الجديد يروج لمجموعة من المقولات الفكرية التي تدعمه وتعضده فكريا وإيديولوجيا، ومن بينها مقولة نهاية التاريخ التي تشكل حجر الزاوية في كتاب فوكوياما.

ثانيا–الاطـــــار التـطبيقـــــي

1–منـهـج الـدراســـــة

بما أن دراستنا الحالية هي دراسة الغرض منها استكشاف وجهات نظر الأساتذة الجامعيين حول الهوية الوطنية والتواصل الثقافي ومقولة نهاية التاريخ، فإن المنهج الوصفي هو المنهج الملائم لهذه الدراسة حيث تم استخدامه من أجل تقصي وجهات النظر لبعض الدكاترة بعدة جامعات جزائرية ومنه فقد أدى المنهج الوصفي غرضه من خلال الإجابة على تساؤلات المقابلة ومن ثم تحليلها و التعليق على نتائجها.

2–أدوات الـدراســـــة

من أجل الإجابة على تساؤلات المداخلة اعتمدنا على تقنية المقابلة الموجهة باعتبارها تقنية تتلاءم مع العمل الاستكشافي وتصل إلى تفاصيل أكثر، و إيمانا منا بأهمية المنهج الكيفي فقد استخدمنا المقابلة كإحدى تقنياته كأداة لجمع البيانات اللازمة لمثل هذه المداخلات، وقد تضمن دليل المقابلة ثلاثة محاور وكل محور تضمن مجموعة

[24] مختار مطيع، المشاكل السياسية الكبرى المعاصرة، منشورات إيريس، ط1، البيضاء 1993، ص260.

من الأسئلة المفتوحة، حيث خصص المحور الأول للحديث الهوية الوطنية بين التصور والواقع أما المحور الثاني فكان حول سلبيات وإيجابيات التواصل الثقافي وخصص المحور الثالث و الأخير لمعرفة وجهة نظر الدكاترة حول مقولة نهاية التاريخ.

3-عينة الدراسة ومجالاتها،

تم إجراء الدراسة الميدانية على مجموعة من الأساتذة الجامعين بدرجة دكتور من عدة جامعات جزائرية ومن عدة تخصصات أيضا. هي " علم الاجتماع، علوم الاعلام والاتصال، والعلوم السياسية حيث قمنا بإعداد دليل مقابلة وتم إرساله عن طريق موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" وتجدر الإشارة هنا إلى أننا قمنا بإرسال (17) دليل مقابلة لكننا تلقينا الرد من (10) فقط ونتيجة لضيق الوقت لم نستطع الانتظار أكثر من أجل البدء في عملية التحليل حيث تم منحهم مدة (20) يوما من أجل الإجابة.

4-عرض معطيات الدراسة وتحليل نتائجها، يمكن توضيحها في ثلاثة محاور:

المحور الأول: لقد كان هذا المحور بمثابة تمهيد أردنا من خلاله تقديم تعريف للهوية الوطنية حسب ما جاءت به معظم الاجابات المقدمة من طرف الدكاترة، وفي هذا الخصوص أشار أغلب الأساتذة أن الهوية الوطنية هي جملة من الخصائص والمميزات مثل الدين، الوطن واللغة وتكون ذات بعد جماعي ينبع من اتجاهات المجتمع، لكن هناك بعض الأساتذة كانت إجاباتهم بأن الهوية الوطنية هي نوعان:هوية وطنية عامة تغديها الأيديولوجيا السياسية، وهوية شخصية ذات بعد نفسي، وهناك إجابة أخرى جاء فيها أنه لا يمكن القول الهوية الوطنية بل هي هويات،خصوصا إذا ما تعلق الأمر بالجزائر فهويتها عربية أمازيغية مسلمة إفريقية متوسطية عالمية.

وتجدر الاشارة هنا إلى أن أغلبية الإجابات حددت مقومات الهوية الوطنية في الثوابت الوطنية المتمثلة حسب رأيهم في اللغة العربية والأمازيغية والاسلام ووحدة الوطن، أما فيما يتعلق بسؤال حول واقع الهوية الوطنية في ظل مختلف التغيرات الجيوسياسية والثقافية والفكرية التي يعيشها العالم اليوم فأغلب المبحوثين لم يكونوا متفائلين بواقعها حيث أشاروا إلى فكرة احتمال ذوبانها الكلي في العالمية بالرغم من وجود قلة تقاوم هذا الاندماج لكن مشروع مسح الهويات الوطنية واكتساحها يجرى على قدم وساق وبآليات يصعب توقيفها.

أما فيما يتعلق بأهم التحديات التي تواجه الهوية الوطنية نجد أن أغلب المبحوثين رمزوا على النقاط التاليـــــــة: الجهل، القابلية للانسلاخ والتبعية، الانبهار بالأخر وسيطرة الهويات الغربية القاتلة حسب ما جاء به أحد أفراد العينة،وفيما يتعلق بسؤال حول مدى توفيق المجتمع الجزائري بين ثنائية الأصالة والمعاصرة أجمع كل أفراد العينة

على أن المجتمع الجزائري لم يستطع التوفيق بينهما بل هو يعاني صراعا يرجح الكفة للوقوع في فخ المعاصرة التي تهدف للقضاء على مقوماته وهويته وأصالته. حيث نجد من انحاز للمعاصرة بكل سلبياتها وهناك من تحجر عقله وفكره ضانا أنه يدعو للأصالة، وفي حقيقة الامر لا هذا ولا ذاك قد وفقا في مسعاهما المطلوب. وبحسب رأيه يجب إذن التقدم والتطور والتغير ضمن إطار من القيم والفضيلة ودون أن تنفصل الاوراق عن الجذور ضمانا للاستمرار وحفاظا على الوجود في ظل عالم متغير فسيفسائي يضيع فيه من ليس له أصل وجذور يتمسك بها.

وفي سياق أخر وحول الأليات التي يمكن الاعتماد عليها للحفاظ على الهوية الوطنية أجاب أغلب المبحوثين أن ذلك يتأتى عن طريق:

- **التنشئة الاجتماعية التي تعمل على ترسيخ وتعليم الثوابت الوطنية.**
- **تنمية روح المواطنة.**
- **ضمان حرية الرأي والمعتقد وبناء دولة القانون والعمل على ترقية التنوع والتعدد الثقافي الذي تزخر به البلاد.**
- **ترسيخ الهوية الوطنية في مناهج التعليم المدرسي والجامعي.**
- **اعتماد مبدأ لكل ذي حق حقه المتمثل** في الاعتراف المتبادل بين ابناء الوطن الواحد كل خصوصية الاخر بالإضافة إلى تدعيم كل عوامل الوحدة واضعا فعوال الفرقة مهما كانت طبيعتها و وضع عقد اجتماعي جديد مبني على أساس التراضي والتفاهم في إطار التنوع و التميز.

المحـــور الثانـــي: من خلال هذا المحور قمنا بطرح مجموعة من الاسئلة حول التواصل الثقافي وإيجابيات **وسلبياته،** ولقد كان أول سؤال حول مدى إمكانية الحفاظ على الخصوصية الوطنية في ظل الانفتاح الاعلامي والتكنولوجي الحاصل في العالم اليوم، وهنا تراوحت إجابات المبحوثين بين من رأى بإمكانية ذلك وهذا من خلال الحفاظ على الثوابت وفي نفس الوقت انفتاح في المتغيرات، لكن البعض رأى بعكس ذلك وقال إنه لا إمكانية لذلك لأننا نعاني من انسلاخ وتبعية شبه مطلقة.

وفي سؤال آخر حول ما إذا كان التواصل الثقافي يعد أحد التحديات التي قد تهدد الهوية الوطنية كانت إجابات أفراد العينة متباينة ومختلفة فهناك من أجاب بنعم، وذلك راجع حسب رأيهم لوسائل الاتصال وخصوصا مواقع التواصل الاجتماعي التي تعتبر بمثابة تهديد حقيقي أثبت فعاليته في تحقيق الاندماج الثقافي في ثقافات الغير.

لكن البعض الآخر من المبحوثين أجابوا أنه ليس بالضرورة أن يكون التواصل الثقافي تهديدا للهوية الوطنية خصوصا إذا كان المستقبل أو المتلقي متشبع بوابته وقيمه ومجتمع قوي.فالتواصل الثقافي لا يهدد الهوية الوطنية إذا تم الاعتناء بها وغرس أسسها ومقوماتها عند الأجيال الصاعدة فتصبح ملقحة ضد كل فيروس يحاول اختراقها، في نفس السياق وحول وجهة نظر المبحوثين من فكرة حوار الحضارات، أغلب أفراد العينة أجابوا بنعم لأنه حسب رأيهم لا بديل إما الحوار أو الصراع والحرب، لكن هناك من أجاب برفضه لفكرة حوار الحضارات، وهذا من منطلق عقائدي حسب رأيه فالإسلام ينهى عن التشبه بالغير واتباعهم كما أن الحوار يكون بين طرفين متساوين، فلا حوار بين قائد وتابع.

أما فيما يتعلق بأهم السلبيات التي قد تنتج عن التواصل الثقافي أجمع المبحوثين على ما يلي:

- **ذوبان الثقافات المحلية الهشة في الثقافات المهيمنة.**
- **تعزيز فكرة العولمة وتوفير أفضل السبل والوسائل لنشرها والمتمثلة في وسائل التواصل بكل أشكالها.**
- **انسلاخ الشعوب عن ثقافتها وهويتها والتأثر بالغير.**
- **الانحراف خاصة عند الشباب المأخوذ بكل ما هو ات من الجهة الاخرى.**

المحـــور الثـــالث:وتناولنا فيه أسئلة حول أيدولوجية نهاية التاريخ وكان أول سؤال حول موقف أفراد العينة من مقولة نهاية التاريخ فكانت أغلب الاجابات ترى أنها فكرة عنصرية ومغلوطة تقوم على تشويه الحقائق ونفي فكرة التطور المستمر وحركة التاريخ التي لا تهدأ، كما أنها فكرة تنطلق من خلفية ثقافية ودينية مختلفة عنا تماما، وحول ما إذا كانت هذه المقولة تعزيز لفكرة العولمة أم لا أجاب أغلب المبحوثين أنها ربما تعززها، لكنها قد تعتبر كآلية من آليات العولمة و الامركة والرأسمالية و اللبرالية...الخ الهادفة لنشر نموذج موحد يحاكي النموذج الأمريكي في كل المجالات: السياسية الاقتصادية والثقافية ...إلخ.

أما فيما يتعلق بمدى خطورة هذه الفكرة على الهويات الوطنية فإن أفراد العينة أجمعوا على أن الخطورة لا تكمن فيها كفكرة بقدر ماهي في الآليات والأدوات الاستعمارية التي توظفها الرأسمالية العالمية بقيادة أمريكا من أجل فرض هيمنتها على العالم وذاك بخلق صراعات على أسس طائفية ومذهبية، وهناك عينة قللت من خطورة هذه الفكرة ورأت أنها فكرة منتهية ولا معنى لها في الأساس كما أنها تعرضت للنقد من قبل العديد من المفكرين العرب.

وفي السياق نفسه وحول سؤال مفاده أيهما أكثر خطرا على الهوية الوطنية التواصل الثقافي أو انتشار إيديولوجية نهاية التاريخ؟ أجاب بعض المبحوثين أن فكرة نهاية التاريخ هي الأخطر لأنها تتعامل مع أفكار وإذا ما تم انتشارها

وتبنيها على نطاق واسع هنا نكون أمام سيادة النمط الامريكي واضمحلال فعلي لأي نوع من الهويات الوطنية لأنها تفترض أن الغالب هو الغرب الرأسمالي ونظامه القيمي مما قد يشكل خطورة على الهوية الوطنية، أما البعض الآخر فقد قلل من خطورة هذه الفكرة وأجاب أن التواصل الثقافي هو الأخطر خصوصا في ظل عدم وجود تكافؤ بين الطرفين، حيث وكما يقول إبن خلدون: "المغلوب مولع بتقليد الغالب" ولعل هذا ما نعانيه اليوم وذلك راجع حسب وجهة نظرهم لضعفنا وعدم قدرتنا على إنتاج المعرفة، مما يجعلنا غير قادرين على التعامل بشكل صحيح مع أدوات التواصل الحديثة.

وأخيرا وفي سؤال حول كيفية تحصين الهوية الوطنية والحفاظ عليها قدم المبحوثين مجموعة من النقاط نجملها فيما يلي:

بناء الفرد الجزائري على الايمان والافتخار بهويته والمدافع عن حقه في امتلاك خصوصية تختلف عن الآخرين لكنها في الوقت نفسه قادرة على التعايش مع غيرها من الثقافات المختلفة.

مراجعة المناهج الدراسية بما يخدم الهوية الوطنية لأن التعليم هو السلاح الأول للحفاظ على الهوية الوطنية.

ترسيخ العقيدة الإسلامية وتعزيز مكانة اللغة العربية.

التواصل الفعال والحقيقي والحوار الجاد مع كل أطياف المجتمع دون إقصاء لأي طرف.

توجيه الإعلام وجهة صحيحة بما يخدم القضايا الوطنية ويحافظ على هويتها وخصوصيتها.

توعية الأسرة فدورها مصيري في هذه القضية كونها أهم مؤسسة للتنشئة الاجتماعية.

نتائج الدراسة والتوصيات: خلصت الدراسة الراهنة إلى مجموعة من النتائج هي؛

- إن الهوية الوطنية تحمل في طياتها التعدد والاختلاف.
- الحفاظ على الهوية الوطنية يتطلب رؤية واضحة يتشارك فيها جميع أفراد المجتمع على اختلافهم.
- التواصل الثقافي ضروري لكن يجب أن يكون في إطار التكافؤ والتساوي وليس التبعية والتقليد والاستهلاك فقط.
- فكرة نهاية التاريخ هي أحد الآليات التي أريد من خلالها نشر الإيديولوجية الأمريكيةالمتمثلة في سيطرة الإمبريالية والرأسمالية على العالم.
- التواصل الثقافي وفكرة نهاية التاريخ كلاهما يعتبر خطرا وتهديدا على الهوية الوطنية.
- الحوار البناء والجاد هو الحل مع الغرب لأن إلغاء الحوار يعني الحرب.
- الحفاظ على الهوية يأتي من الداخل وليس برفض الآخر وإلغائه.

قائمـــــة المراجـــع

1- علي حمدان، إشكالية الهوية والانتماء، المركز العربي الأسترالي، أستراليا، ط1، 2005، ص33.

2- على بن محمّد الجرماني، التعريفات، باب الهاء، مكتبة لبنان،1985، ص277.

3- هاني محمّد يونس موسى، دور التربية في الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع العربي، كلية التربية، جامعة بنها، مصر، ص11.

4-كلمة السيد "كويشيرو ماتسورا" رسالة المدير العام لليونسكو بمناسبة الاحتفال باللسنة الدولية للغات 2008 على موقع اليونسكو www.un.org/arabic/events/iy

5-السيد عبد العزيز البهواشي: دور التربية الإسلامية في تنمية الشخصية القومية المصرية لمواجهة مخاطر اللانظام العالمي الجديد، ص ص440-441.

6-محمّد محفوظ،في معنى التواصل الثقافي، مرجع سابق، 2015/12/29، 13:36

7-محمّد محفوظ،في معنى التواصل الثقافي، مرجع سابق، 2015/12/29، 13:36.

8-GOFFMAN, E '' La mise en scène de la vie quotidienne '' éd. Minuit, 1973.

-BERNE. N in LIPIANSKY idem, p599

10-GOFFMAN,E, in LIPIANSKY idem.

سورة النساء: 82.11-

12-سورة الحجرات: 13

13-محمّد السيد الجليند: الوحي والإنسان قراءة معرفية، دار قباء للطباعة والنشر القاهرة ط1, 2002م سلسلة تصحيح المفاهيم 6، ص45.

14 -عبد سعيد عبد إسماعيل :العولمة أرقام وحقائق ص34 وانظر :the American HeritageDictionary p562.

15-محمّد الأطرش، العرب والعولمة، مقال منشور بمجلة المستقبل العربي، العدد 229، ص101

16-سورة المائدة:الآية 2

17-سورة المائدة: الآية 8

سورة الأنعام: الآية 152 18-

19 -عبد سعيد عبد إسماعيل: مرجع سابق، ص188

20-حسين أمين. نهاية التاريخ وخاتم البشر، الترجمة العربية للكتاب الاصلي The end of historyand the last man, 1992، New York, Free Press والرابط:aldiplomacy1@hotmail.com

21-حسين أمين. نهاية التاريخ وخاتم البشر، المرجع السابق.

22-عزت أحمد السيد، هل بدأ عصر الهيمنة الأمريكية؟، مجلة الوحدة، عدد 8-9 نونبر 1992، ص97.